المرأة ودورها الجهادي والإعلامي من خلال واقعة الطف في كربلاء السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام - أنموذجا -

م. د أفراح حميد عبد حسن المفرجي

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة واسط

afrahh@uowasit.edu.iq

المرأة ودورها الجهادي والإعلامي من خلال واقعة الطف في كربلاء
السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام - أنموذجا -

م. د أفراح حميد عبد حسن المفرجي

كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة واسط

afrahh@uowasit.edu.iq

الملخص

تسلط الدراسة الضوء على شخصية نسائية متفردة ومهمة في التاريخ الإسلامي وهي إحدى عقائل بني هاشم علوية حسينية النبع نبعت من بيت النبوة ونهلت من معارف جدها رسول الله محمد عليه وعلى آله الصلاة والسلام، ألا وهي (السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام) حيث كانت لهذه الشخصية إسهامات فعالة ومهمة في الأحداث السياسية المتتالية إذ كان لها دور جهادي وإعلامي وفكري مهم له الأثر الكبير في نفوس العامة من المجتمع فهي امرأة استطاعت أن تواجه الأعداء وتقف بوجه الطغاة بإيمانها ووعيها ورجاحة عقلها وشجاعتها التي قل نظيرها فكانت لخطبها التي تصدح بها أثر كبير ضد جور وظلم بني أمية ومن والاهم، لا سيما وأنها كانت الشاهد الناطق الحي على ما جرى في واقعة الطف بمعسكر أبيها الحسين عليه السلام حيث تولت وصية أبيها عليه السلام وإيصالها لأخيها الإمام علي بن الحسين عليه السلام وكانت لروايتها الأثر العظيم في فضح سياسة بني أمية وما تعرضت له النساء الهاشميات من مضايقات من قبلهم وكيفية الوقوف بوجه الأعداء بشجاعة وبسالة قل نظيرها.

الكلمات المفتاحية: (المرأة، دورها الجهادي، الإعلام، واقعة الطف في كربلاء).

Title:The Woman and Her Jihadi and Media Role Through the Event of Taff in Karbala (Lady Fatima, Daughter of Imam Al-Hussein bin Ali bin Abi Talib, Peace Be Upon Her, as a Model)

Author: Dr. Afraah Hameed Abdul Hassan Al-Mafraji

University of Wasit | College of Education for Human Sciences

afrahh@uowasit.edu.iq

Abstract

This study sheds light on a unique and significant female figure in Islamic history—one of the noblewomen of Banu Hashim, of Alawite and Husseini lineage, whose roots stem from the House of Prophethood and who drew knowledge from her grandfather, the Messenger of God, Muhammad (peace and blessings be upon him and his family). This figure is Lady Fatima, daughter of Imam Al-Hussein (peace be upon him).This personality made effective and crucial contributions to successive political events, playing a vital jihadi, media, and intellectual role that greatly impacted the hearts of the general public. She was a woman who confronted enemies and stood against tyrants with her faith, awareness, wisdom, and unparalleled courage. Her powerful speeches had a profound effect in exposing the injustice and oppression of the Umayyads and their supporters.

Moreover, she was the living, eloquent witness to what transpired in the event of Taff in her father Al-Hussein's (peace be upon him) camp. She undertook the responsibility of conveying her father's will to her brother, Imam Ali Zain al-Abidin (peace be upon him). Her narrations played a tremendous role in exposing the Umayyad policies and the hardships endured by the Hashimi women at their hands, as well as how they stood against their enemies with rare courage and bravery.

Keywords: *(Woman, her jihadi role, media, the event of Taff in Karbala).*

المقدمة

تُعد دراسة شخصية نسائية إسلامية لها ثقلها ووزنها التاريخي الأثر الكبير في نفوس العامة من المسلمين من الدراسات المهمة في التاريخ الإنساني والإسلامي على حد سواء لما لها من أهمية كبيرة في تجديد المفاهيم الدينية والفكرية والجهادية الإسلامية في مواجهة أعداء الدين الإسلامي الحنيف والوقوف بوجه الطغاة وقول الحق بشجاعة وبسالة وجرأة قل نظيرها فشخصية السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام ليس ككل الشخصيات النسائية فهي تمثل المرأة المسلمة القيادية ذات الفكر النير إذ كان لها دور عظيم في مواجهة الفكر الضلالي والدفاع عن بيضة الإسلام والمسلمين فهي سليلة المجد والورع والإيمان والتقوى، وهنا كان لابد لنا ان نناقش بعض التساؤلات: لماذا هذه الشخصية النسائية العلوية الحسينية بالتحديد؟ وهل لوجود هذه الشخصية الحسينية في واقعة كربلاء إثر في تغير مجرى التاريخ فيما بعد؟،

هل تناولت المصادر التاريخية هذه الشخصية بحيادية واعطاء حقها كامرأة مسلمة مجاهدة في سبيل الحق؟ هل لهذه الشخصية المباركة تأثير على النساء في الوقت المعاصر ام لا؟ كل هذه الاسئلة وغيرها سوف يتم الإجابة عنها في طيات البحث، نجد ان البعض من المصادر التاريخية قد أشارت إلى دورها الريادي والجهادي الإعلامي التي تمثل بخطبها التي كانت موجهة ضد قتلة ابيها الحسين عليه السلام وما جرى من أحداث دموية والمظلومية التي وقعت على آل بيت رسول الله، لهذا ارتأينا أن نسلط الضوء على هذه الشخصية النسائية الهاشمية العلوية الحسينية العظيمة لبيان دورها في واقعة كربلاء والتي تُعد أحد أهم الأحداث على مر تاريخ الإنسانية والبشرية على الإطلاق إذ تغنت الأقلام المؤرخين والباحثين والأدباء.. الخ الأولين والمعاصرين سواء المسلمين والمستشرقين الغربيين في ذكرها وتخليدها لتكون بذلك مصدر إلهام البشرية في نيل حقوقها والوقوف بوجه الباطل والطغاة لهذا ارتأينا أن تكون دراستنا حول هذه الشخصية النسائية المؤثرة والمهمة في التاريخ السيدة فاطمة الصغرى ودورها الجهادي والإعلامي في واقعة كربلاء وقد قسمنا بحثنا هذا الى ثلاث مباحث تقدمها مقدمة حول أهمية الموضوع الإشكاليات والأسباب اختيار الموضوع واختتمناها بخاتمة تضمنت مجموعة من الاستنتاجات، وقائمة المصادر العربية تمثل المبحث الأول بدراسة السيرة الذاتية للسيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام، أما المبحث الثاني فقد بحثنا فيه عن السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام ودورها الإعلامي الجهادي في واقعة الطف بكربلاء وأثرها في نفوس العامة في الكوفة والمدينة، أما المبحث الثالث فجاء بعنوان خطب السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين وأثرها في بلاط البيت الأموي، وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر العربية والاسلامية شكلت العمود الفقري لدراستنا هذه ومن الله التوفيق.

المبحث الأول

السيرة الذاتية للسيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام

اولا: السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام اسمها ونسبها وولادتها

هي نبتة طاهرة من دار الوحي سليلة بيت النبوة وربيبة الشجرة الطاهرة، خرجت من بيت الدين والـورع والتقوى كريمة من اكـارم الإمامة فهي: «فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف درة الفواطم» (ابن حزم، جمهرة أنساب العرب،١٩٧١م: ٤٢؛ الشيخ المفيد الإرشـــاد، ٢٠٠٨م،ج٢: ١٣٦) وحفيدة الزهراء (صلوات الله عليها) بنت سيد وخير البشرية ووارثة التعاليم المحمدية في الدين والعلم والأخلاق والأدب (أبـو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين ١٩٩٨م: ١٢٢؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في معرفة الصحابة، ١٤١٢هـ،ج٣: ٥٢٩)، ولدت في بيت ليس كغيره من البيوت على الإطلاق فقلما تجد امرأة تجمع هذا النسب الشريف، أبوها سبط رسول الله فهي بذلك جمعت السلالة العريقة التي قل نظيرها فهي حسينية المنبع وعلوية الهوية وهاشمية الأصل حيث ينتهي نسبها الكريم الجد الثاني للنبي محمد بن عبد الله بن هشام بن عبد مناف (ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمـــم،١٩٩٢م، ج٧: ١٨٢)،أما من أبيها فجدها أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام سليل بيت النبوة ومهما ما نقوله او نذكره لا يفي حقه عليه السلام (الطبرسي امين الإسلام أبي الفضل بن الحسين، إعـلام الـورى بأعلام الهـدى١٩٧٠م، ج١: ٤١٨) وأمها: «أم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة» (ابن قدامة، التبيين في أنساب القرشيين:٣٠٥-٣٤٤؛ ابن حزم الأندلسي، جمهرة الأنساب، نسب القرشيين ١٩٧١، ص ٧٩ - ٨٤)، كما يرجع نسبها ايضا الى بني تيم إلى أمرين الأول والدتها أما الثاني وهو ما ورد على ألسن البعض من الناس وفي كتبهم من الانتقاص من مكانة بني تميم لاسيما في الجاهلية ولكن يكفي انهم تشرفوا بالإسلام (ابي معاذ السيد بن أحمد ابراهيم، فاطمة بنت الحسين درة فواطم أهل البيت ٢٠١١م:١٦)، في حين هناك رواية أن امها هي ام حارث الجرباء بنت قسامة بنت قيس... بن فطره بن طئ من الصحابيات كانت لها مكانة اجتماعية آنذاك (الأصفهاني، مقاتل الطالبيين١٥٩:١٩٩٨؛ ابـن حجر العسقلاني، الإصابة في تميز الصحابة، ١٤١٢ هـ ج٧: ٥٥٢) اما جدها ابو امها فهو صحابي جليل اشتهر بالكرم والجود والشجاعة حيث توفي سنة ٣٦ هجرية وبالتحديد بوقعة الجمل وكان له مواقف بطولية يشهد لها التاريخ ابرزها الذَّب عن نبي الله محمد عليه وعلى اله الصلاة والسلام (ابن حجر العسقلاني، الإصابة١٤١٢هـ ج٣: ٥٢٩).

اما من جهة اعمامها فهي متربعة على عرش الأنساب فهم ابناء وبنات أمير المؤمنين علي عليه السلام وابرزهم الإمام الحسن بن علي بن ابي طالب سبط رسول الله وريحانته، ومحمد بن الحنفية بن علي، والعباس بن علي، أما عماتها فهن بنات امير المؤمنين علي عليه السلام وهن العقيلة السيدة زينب بنت علي وأم كلثوم وفاطمة بنت علي (ابي معاذ السيد بن أحمد ابراهيم، فاطمة بنت الحسين درة فواطم أهل البيت ٢٠١١م:١٧-١٨).

إذن تربعت على عرش الأنساب الشريفة المطهرة فانحدرت من الأصلاب الطاهرة المطهرة فقد ولدت عليها السلام عام ٤٠هـ، وهناك رواية تذكر سنة ٥١هجرية على أصح الأقوال، فهي أكبر بنات الإمام الحسين بن علي بن ابي طالب عليه السلام توفيت ١١٧هجرية المدينة المنورة وهناك رواية اخرى تذكر أنها ١١٠ هجرية توفيت في دمشق ودفنت بمقبرة باب الصغير (ري شهري محمد، الصحيح من مقتل شهداء واصحابه عليهم السلام ٢٠١٠م: ٩٧)، ولكن الراجح هي ١١٧ هجرية.

ثانياً: نشأتها عليها السلام

نشأت حفيدة الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام في كنف والدها الإمام الحسين عليه السلام حيث تنعمت بحنانه وورعه وتقواه وبين امها الوفية وأعمامها وعماتها ذوات الحسب والنسب الشريف فهي عليها السلام أشبه البشر خصالاً خلقاً واخلاقاً وعبادةً ولا أدل من كمالها ورجاحة عقلها مما جاء على لسان أبيها سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام على تمامها بقوله:«إنها أشبه الناس بأمي فاطمة بنت رسول الله، أما في الدين فتقوم الليل وتصوم النهار، وفي الجمال تشبه الحور العين» (مؤيد،علي حيدر، تثقيف الامة بسير أولاد الائمة، ٢٠٠٥م: ٢٠٥؛ حسين، محمد، أعلام النساء المؤمنات، ٢٠١٩م: ١٠٠)، وكانت عليها السلام تسبِّح في خيوط معقودة تقربا لله تعالى (المجلسي، الاطهار،١٣٦٥هج٨٢: ٣٣٣).

حيث كانت عليها السلام شديدة الورع والحياء، وقد وردت رواية بسند عن ابن عساكر: «في تسمية ولد الحسين بن علي وفاطمة بنت الحسين دخلت مع قواعد قومها على هشام بن عبد الملك قدمته المدينة، فقال للأبرش الكلبي: كان عندي البارحة قواعد قومي، فما كان فيهن أخفر (المجلسي، بحار،١٣٦٥ه، ج٤٧: ٣٠٢) ولا أحيا من فاطمة بنت الحسين» (المجلسي، الاطهار،١٣٦٥ه ج٤٧: ٣٠٢)، وهذا دليل واضح على زهدها ورجاحة عقلها وسعة فكرها النير وما فيها حيث عمدت على توزيع ما ورثته على أولادها في حياتها (https://imamhussain.org/arabic/26663)، كما ان المصادر التاريخية قد وصِفتها عليها السلام بفاطمة الصغرى وجاء هذا الوصف تمييزاً لها عن جدتها الصديقة سيدة نساء العالمين الكبرى الزهراء فاطمة بنت محمد بن عبدالله عليها السلام (ابن عنبة جمال الدين أحمد، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ٢٠٠٣م: ٣٣٩)، وصفها احد الباحثين المعاصرين بأنها إحدى نساء آل البيت عليهم السلام التي تروي الحديث عن أبيها وعن عماتها واخيها عليهم السلام

كما يروي عنها ولديها عبد الله بن وأخوه الحسن بن الحسن المثنّى (ابي معاذ السيد بن أحمد إبراهيم، فاطمة بنت الحسين درة فواطم أهل البيت ٢٠١١م:١٣)

وعليه يمكن ان نستنتج من تلك النصوص التاريخية أنها عليها السلام فرع مبارك طيب من فروع آل محمد عليه وعلى اله الصلاة والسلام فهي سليلة الحسب والنسب.

المبحث الثاني

السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليهما السلام ودورها الإعلامي الجهادي في واقعة الطف بكربلاء وأثرها في نفوس العامة في الكوفة والمدينة المنورة

لقد كان لواقعة الطف أثرها في نفوس البشرية قاطبة وليس بنفوس المسلمين فقط، لما لها من بعد إنساني وروحي في إشاعة العدل والمساواة بين أفراد المجتمع الواحد، لذا نجد أن الكل سواء العرب المسلمين أو غير المسلمين قد أشادوا بالدور البطولي والاستشهادي الذي أقدم عليه آل بيت النبوة المتمثلة بشخصية الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته الكرام لاسيما السيدة فاطمة بنت الامام الحسين عليها السلام فكما ذكرنا آنفا أنها احدى نساء بيت النبوة التي عرفت بالمرأة العابدة المحدِّثة المجاهدة الزاهدة حيث كان لفصاحتها وعلمها وإيمانها دور كبير في دعم القضية الحُسينية في الكوفة. لقد كان الإمام الحسين عليه السلام مصرا وبشدة على حمل أهل بيته معه الى مدينة الكوفة لاسيما النساء والأطفال على الرغم من سابق معرفته بما سوف يحدث عند وصوله في اليوم الثاني من شهر محرم الحرام، فبعد الحصار الذي فرضه ابن زياد ومنعهم من التوجه الى مدينة الكوفة، حيث أصاب السيدة فاطمة الصغرى ما أصاب معسكر أبيها الحسين عليه السلام من حصار، واستدعيت من قبل ابيها قبيل استشهاده واوصاها بوصيته لإيصالها لعلي بن الحسين عليهما السلام فكانت للسيدة فاطمة عليها السلام مرويات تخص هذه الليلة أي (ليلة عاشوراء) حيث ذكرت كل الأحداث التي أصاب المعسكر الحُسيني لاسيما بنات النبوة وما لحق بهن من أذى من جيش يزيد وما ألمَّ بهنَّ بعد فراق ابيها واهلها من خلال خطبتها البليغة التي صدحت بها وابكت أهالي الكوفة وأظهرت ما تعرض له أهل البيت عليهم السلام من تعدّي وظلم وقسوة بني أمية.

اولاً: الأسباب المؤدية لخروج نساء آل بيت عليهم السلام لكربلاء

وقبل الخوض بالحديث عن الدور البطولي والإعلامي والجهادي الذي أبدته تلك المرأة المقدامة لابد أن نعرف السبب الحقيقي وراء حمل الإمام الحسين عليه السلام لأهل بيته لاسيما النساء. أن المصادر التاريخية التي أطلعنا عليها تؤكد بأن هناك غاية مهمة تكمن في نفس الإمام الحسين عليه السلام، وأولى تلك الروايات هو ما ورد عن ابن عباس حينما نصحه بعدم الخروج والسفر الى العراق، والتوجه الى بلد آخر لاسيما بلاد اليمن والتي تعد احدى أهم المدن الموالية لأهل البيت (ذرية علي بن ابي طالب عليه السلام) فكانت إجابة الإمام الحسين عليه السلام ذات بعد ديني عميق حيث كان مصرا على المضي قدماً إلى أرض العراق.

وكانت لابن عباس نصيحة بعدم أخذ النساء والصبية خوفاً عليهم من الحرب وان لا يحدث لهم كما حصل عند فتنة عثمان بن عفان ولكن كانت اجابة الإمام الحسين عليه السلام هي الخروج مصطحبا معه اهل بيته (الدينوري، الأخبار الطوال، ١٩٦٠م،ط١، ج١: ٢٤٤)، وهنا يفسر المعنى الحقيقي في جلب الامام الحسين النساء معه حينما التقى الإمام بأخيه محمد بن الحنفية وسأله (ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى ٢٠٠١م،ج ٧: ٩٤) عن سبب أخذ النساء معه فكانت الإجابة: «امتثالا وطاعة الله تعالى» فقد شاء أن يَراهُنَّ سبايا" (ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن أبي حاتم البستي التميمي ١٩٧٩م، ج ٥: ٣٤٧؛الدينوري، الأخبار الطوال، ١٩٦٠م، ج١: ٢٤٤)

وهذا يعني أنه عليه السلام كان مسلِّماً قانعاً وراضياً بقضاء الله وقدرته عز وجل، فهو يدل بذلك على أنه أمر وتكليف شرعي، وهذا نستدلهُ من كلمةِ الإمام عليه السلام: (امتثالاً وطاعة.. شاء الله)، بمعنى آخر يمثل ذلك بأنها مشيئة تشريعية تتعلق بالأمر لله، وأن الله عز وجل يريد أن يرى الإمام في ذلك البلد ليدافع ويقف بوجه الطغاة لحماية الإسلام من البدع والمنكرات والضلالة (ابن طاووس، مقتل الحسين ١٩٩٣م: ٤٠)، في حين نجد مؤرخا آخر لهُ رواية جاء فيها قوله: «ربما كان سبب حمل الحسين لنسائه وأطفاله معه إلى العراق خوفه من اخذهن رهائن من الحجاز الى الشام بأمر من يزيد عليه لعائن الله في حالة خروج الإمام الحسين عليه السلام وحده الى العراق، مما قد يمنعه من الاستمرار في طريق الجهاد والشهادة.». (ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، ١٩٩٣م: ٥١-٤١؛ https://research.rafed.net)، في حين علل باحثٌ آخر ذلك الفعل البطولي النابع من الفكر الديني والسياسي العميق بقوله: «أدرك الإمام الحسين عليه السلام يقيناً أنه سيُقتل، إذ كان يعلم قبح طوية يزيد وسوء طبعه وسوء سيرته. بعد مقتله، امتدت يد يزيد لتؤذي النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم من خلال استهداف سلالته، بقتل الأطفال الأبرياء، وانتهاك حرمة النساء، وحملهن من مكان إلى آخر، مما أثار حفيظة المسلمين وأشعل غضبهم. فلا شيء أفظع وأشنع من التشفي والانتقام عبر إيذاء النساء والأطفال بعد قتل الشباب والرجال.

بخروجه بتلك الحالة، أراد الحسين عليه السلام أن يثأر من يزيد، ويقتل خليفته في كرامته وعزته. وفعلاً تحقق ما توقعه؛ فقد كان لما فعله يزيد وعصابته من أفعال فظيعة أثر بالغ في نفوس المسلمين، وزاد من غضبهم ما تعرضت له سلالة النبوة من انتهاك حرمة نسائها، وهن اللواتي عرفن دائماً بالصيانة والطهارة والعفة والعزة. هذا ما دفع السنة إلى هجاء يزيد بشدة، ونفور معظم المسلمين من خلافة الأمويين، وأسخط قلوب المؤمنين، إذ أن قتل الحسين عليه السلام كان أشد وقعاً عليهم من قتله ذاته. (باقر شريف مهدي بن ناصر حياة الإمام الحسين عليه السلام ٢٠٠٨م: ٢٩٧)

في حين علل أحد الباحثين المعاصرين سبب خروج نساء آل البيت عليهم السلام في تلك الواقعة بقوله: «..لقد أكدت الأبحاث المتخصصة في الفكر السياسي المرتبط بكربلاء على أن وجود النساء، وخاصة الحرائر من أهل البيت، مع الإمام الحسين عليه السلام لم يكن مجرد جانب عاطفي أو مظلومي، بل كان جزءاً أساسياً من خطة سياسية عميقة تهدف إلى تكملة الغرض وتحقيق الهدف الأكبر وهو قلب نظام يزيد الظالم والقضاء على حكمه قبل أن يدمر الإسلام ويرجع الناس إلى الجاهلية.

هذه الدراسات توضح أن الإمام الحسين عليه السلام كان واعياً تماماً لدور النساء اللواتي قمن بمواقف التحدي والصمود التي أثرت بقوة في وجدان الأمة الإسلامية، فكانت النساء اللواتي بقيّن على قيد الحياة، مثل زينب وأخريات، سبلاً لإحياء القضية، وتذكير الناس بالظلم والاستبداد، ومصدر قوة سياسية واجتماعية مستمرة ضد النظام الأموي.

بالتالي، لم تكن مرافقة النساء للحسين لمجرد المظلومية، بل كانت نظرة استراتيجية واعية وعميقة للفهم بأن استمرار القضية بحاجة إلى تمثيل حي وحضور يؤثر في الرأي العام ويثقل كفة الثورة، وهذا كان ضرورياً لاستكمال الغاية السياسية والفكرية من الثورة الحسينية..».. (باقر شريف مهدي بن ناصر حياة الإمام الحسين عليه السلام ٢٠٠٨م: ٢٩٧).

ثانياً: الدور الإعلامي والجهادي للسيدة فاطمة الصغرى يوم عاشوراء

حينما قرر الإمام الحسين عليه السلام المسير إلى الكوفة مع أهل بيته الذين عمدوا القدوم معه من مكة وبالتحديد يوم التروية (البعلي أبو عبد الله شمس الدين محمد بن ابي الفتح، المطلع على ألفاظ المقنع، ٢٠٠٣م: ١٩٠؛ ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ١٩٩١ م ج ٥: ١٢٣) فكانت رحلة شاقة حيث قطعوا مسافة لا يستهان بها وأغلبها أرض صحراء قاحلة تناهز ثمانمائة ميل من بين مكة وموضع كربلاء (كلوب جون باغوت، امبراطورية العرب تعريب وتعليق خيري حماد، ١٩٦٦م: ٨٥) وعند الوصول وصلت الأنباء لإسماع ابن زياد حيث أعـدَّ العدة لمواجهة الحسين عليه السلام، وكانت الأوامر الصادرة من يزيد أن يقيدوا حركة الركب الحسيني وعدم السماح لهم بالتوجه نحو الكوفة حيث تشير الروايات التاريخية أن جيش بني أمية تارة يمنعونهم من المسير وتارة أخرى يسألونهم حتى وصلوا كربلاء في اليوم الثاني من محرم (ابن طاووس، مقتل الحسين اللهوف في قتلى الطفوف، ١٩٩٣م: ٤٩).

ومنذ وصولهم الى كربلاء عانوا الأمَرَّين، ويعزى ذلك الى الحصار الجائر المفروض عليهم من قبل جيش بني أمية حيث عمد عمر بن سعد الى منع وصول الماء للمعسكر الحسيني مما ادى الى معاناتهم عطشاً شديدًا، وهنا عمد الإمام الحسين عليه السلام الى بعث أخيه العباس بن علي عليه السلام بما يقارب ثلاثين فارساً وعشرين راجلاً

ومع كل رجل قربة لكي يأتوا بالماء لرواء العطاش. (الدينوري، الأخبار الطوال، ١٩٦٠م: ٢٥٥)، وفي اليوم التاسع من شهر محرم الحرام حيث اشتدت النوائب على نساء آل البيت عليهم السلام اذ وردت رواية تاريخية عن الإمام علي زين العابدين عليه السلام، قال: « قال علي بن الحسين عليه السلام: « إني لجالس في تلك العشية التي قتل أبي في صبيحتها، وعندي عمتي زينب تمرضني، إذ اعتزل أبي في خباء له وعنده جوين مولى أبي ذر الغفاري وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول:

يا دهر أف لك من خليل
كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل
والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل
وكل حي سالك سبيلي

فأعادها مرتين أو ثلاثا حتى فهمتها وعرفت ما أراد، فخنقتني العبرة فرددتها ولزمت السكوت، وعلمت أن البلاء قد نزل، وأما عمتي فإنها سمعت ما سمعت وهي امرأة ومن شأن النساء الرقة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها وإنها لحاسرة، حتى انتهت إليه فقالت: وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن، يا خليفة الماضي وثمال الباقي. فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال لها: يا أخية لا يذهبن حلمك الشيطان، وترقرقت عيناه بالدموع وقال: لو ترك القطا لنام (٤)، فقالت: يا ويلتاه! فردت عليه بمرارة: «يا ويلتي، هل تظن أني أحتمل اعتداء نفسي على نفسي؟ فهذا أقسى على قلبي وأشده على نفسي»... وخرت مغشيا عليها فقام إليها الحسين عليه السلام، فصب على وجهها الماء وقال لها يا أخية اتقي الله وتعزي بعزاء الله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأن أهل السماء لا يبقون وأن كل شيء هالك إلا وجه الله الذي خلق الأرض بقدرته ويبعث الخلق فيعودون وهو فرد وحده أبي خير منى وأمي خير مني وأخي خير منى ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة قال فعزاها بهذا ونحوه (المفيد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ٢٠٠٨م، ج ٣: ٩٣-٩٤) بعد ذلك تجمعت بناته واخواته للبكاء والنياح عليه فقال لهن الامام الحسين: «يا أختاه يا أم كلثوم وأنت يا زينب وأنت يا فاطمة وأنت يا رباب انظرن إذا أنا قتلت فلا تشققنَ علي جيبا ولا تخمشن علي خدا ولا تقولن هجراً...») (الخوارزمي، مقتل الحسين، ١٤١٨هـ: ٣٣٩؛ ابن طاووس، مقتل الحسين اللهوف، ١٩٩٣م: ٥٠).

من خلال تلك الروايات التاريخية تكونت لنا صورة واضحة الملامح عما جرى في واقعة الطف حيث أخذت السيدة فاطمة الصغرى تستوعب ما سوف يؤول إليه الوضع في هذه الواقعة الأليمة، وهنا يكمن الدور البطولي للسيدة فاطمة بنت الامام الحسين عليه السلام حيث استجمعت قواها لما سوف يحصل في ساحة الوغى فأخذ آل البيت عليهم السلام يصارعون الباطل وأخذوا يتساقطون الواحد تلو الآخر امام اعينهن وهنا جاءت

الساعة الأليمة التي أدمت قلوب آل البيت عليهم السلام باستشهاد الامام الحسين عليه السلام وكان الأمر من أصعب المشاهد قساوة وألماً على نفوس النساء وعيال آل البيت عليهم السلام، فكانت عليها السلام تشاهد ما جرى لأهلها.

وكانت لخطبتها عليها السلام أثرها الكامن في نفوس العامة من الناس بقولها عليها السلام: «الحمد لله عَدَدَ الرَّمل والحصى، وزِنةَ العرش إلى الثَّرى، أحمَدُه وأُؤمن به وأتوكّل عليه، وأشهد أن لا إله إلاّ اللهُ وحدَه لا شريك له، وأنّ محمّداً عبدُه ورسوله، وأنّ أولاده ذُبِحوا بشطّ الفرات، بغير ذَحْلٍ ولا تِرات! اللهمّ إنّي أعوذ بك أن أفتريَ عليك الكَذِب، أو أن أقول عليك خلافَ ما أنزلتَ عليه مِن أخذ العهود لوصيّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، المسلوبِ حقُّه، المقتولِ مِن غير ذَنْب -كما قُتِل وَلَدُه بالأمس-، في بيتٍ من بيوت الله فيه معشرٌ مُسلِمةٌ بألسنتهم، تَعْساً لرؤوسهم! ما دَفَعَتْ عنه ضَيماً في حياته ولا عند مماته، حتّى قبَضْتَه إليك محمودَ النَّقيبة، طيّبَ العَريكة، معروفَ المناقب، مشهورَ المذاهب، لم تأخُذْه فيك اللهمّ لَوْمَةُ لائم، ولا عَذْلُ عاذِل، هدَيْتَه اللهمّ للإسلام صغيراً، وحَمِدتَ مَناقبَه كبيراً، ولم يَزَل ناصحاً لك ولرسولك صلّى الله عليه وآله، حتّى قبضتَه إليك زاهداً في الدنيا غيرَ حريصٍ عليها، راغباً في الآخرة، مجاهداً لك في سبيلك، رَضِيتَه فاختَرتَه فهدَيتَه إلى صراطٍ مستقيم؛ مّا بعدُ يا أهل الكوفة! يا أهل المَكْرِ والغَدر والخُيَلاء، فإنّا أهلُ بيتٍ ابتلانا اللهُ بكم وابتلاكم بنا، فجعَلَ بلاءنا حَسَناً، وجعَلَ عِلمَه عندنا وفَهمَه لدينا، فنحن عَيْبَةُ عِلْمِه، ووعاءُ فهمه وحكمته، وحجّتُه على الأرض في بلاده لعباده، أكرَمَنا الله بكرامته، وفَضَّلَنا بنبيّه محمّدٍ صلّى الله عليه وآله على كثيرٍ ممّن خلَقَ تفضيلاً بيّناً، فكذّبتمونا وكفّرتمونا، ورأيتم قِتالَنا حلالاً، وأموالَنا نَهْباً، كأنّنا أولادُ تُركٍ وكابُل كما قتلتُم جَدَّنا بالأمس، وسيوفُكم تَقطرُ مِن دمائنا أهلَ البيت؛ لحقدٍ متقدّم! قَرَّت لذلك عيونُكم، وفَرِحتْ قلوبكم، افتراءً على الله ومكراً مكرتُم، واللهُ خيرُ الماكرين. فلا تَدْعُوَنّكُم أنفسُكُم إلى الجَذَل بما أصَبتُم مِن دمائنا، ونالتْ أيديكم مِن أموالنا؛ فإنّ ما أصابنا من المصائب الجليلة، والرَّزايا العظيمة، في كتابٍ مِن قَبلِ أن نَبْرأها، إنّ ذلك على الله يسيراً، لكي لا تأسَوا على ما فاتكم، ولا تفرحوا بما آتاكم، واللهُ لا يحبّ كلَّ مُختالٍ فَخور. تَبّاً لكم! فانتظِروا اللعنةَ والعذاب، فكأنْ قد حَلَّ بكم، وتَواترَتْ من السماء نَقِماتٌ فيُسْحِتكم بعذاب، ويُذيقَ بعضَكم بأسَ بعض، ثمّ تُخَلَّدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتُمونا، ألا لعنةُ الله على الظالمين! وَيْلكم! أتَدرون أيّةُ يدٍ طاعَنَتْنا منكم، وأيّةُ نَفْسٍ نَزَعَتْ إلى قتالنا، أم بأيّةِ رِجْلٍ مَشَيتُم إلينا تَبغُون مُحاربتَنا؟! والله قَسَتْ قلوبُكم، وغَلظتْ أكبادُكم، وطُبِع على أفئدتكم، وخُتِم على سمعكم وبصركم، وسَوّلَ لكمُ الشيطانُ وأملى لكم، وجعل على أبصارهم غِشاوةً فأنتم لا تهتدون. فتَبّاً لكم أهلَ الكوفة! أيَّ تِراتٍ لرسول الله صلّى الله عليه وآله قِبَلَكُم! وذُحولٍ لديكم بما صَنَعتم بأخيه عليٍّ بن أبي طالبٍ جَدّي، وبَنيه وعِترتِه الطيّبين الأخيار، فافتخرَ بذلك مفتخِرُكم فقال: قد قَتَلْنا عَلِيَّ وابْنَيْ عَلِيٍّ بسيوفٍ هنديّةٍ ورماحٍ وسَبَينا نساءهم

سَبْيَ تُرْكٍ ونَطَحناهُمُ فأيّ نِطاحِ! بِفِيك أيُّها القائلُ الكَثْكَثُ والإثْلِب! افتَخَرتَ بقتلِ قومٍ زكّاهمُ الله وطَهّرَهم الله، وأذهَبَ عنهم الرِّجس؟! فاكْظِمْ، وأقْعِ كما أقعى أبوك، فإنّما لكلّ امرئٍ ما كسَبَ وما قَدَّمتْ يداه. وحَسَدتمونا -وَيْلاً لكم- على ما فضَّلَنا الله! فما ذَنْبُنا إنْ جاشَ -دهراً- بُحورُنا وبَحرُكَ ساجٍ ما يُواري الدَّعامِصا ذلكَ فَضْلُ الله يُؤتيهِ مَن يشاءُ واللهُ ذو الفضلِ العظيم، ومَن لم يَجعَلِ اللهُ له نُوراً فما له مِن نُورٍ). فارتفعت الأصواتُ بالبكاء والنحيب، وقالوا: حَسْبُكِ يا ابنةَ الطيّبين؛ فقد أحرَقْتِ قلوبَنا، وأنضَحْتِ نُحورَنا، وأضْرَمتِ أجوافَنا! فسكتَتْ...») (العلامة المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار،١٣٦٥هـ ج٤٥: ١١٠؛ الكرباسي محمد صادق محمد، وثائق النهضة الحسينية، لندن المملكة المتحدة ٢٠١٦، ج١/ ص٢٣٩: ٢٤٠: ٢٤١)

المبحث الثالث

خطب السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين وأثرها في بلاط البيت الأموي

اولاً: موقف السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام من السبي في الكوفة وبلاد الشام

ذكرنا آنفا أن السيدة فاطمة بنت الحسين عليه السلام نبعت من بيت ليس ككل البيوت، بيت الإيمان الراسخ والتقوى فلا شك بأنها نهلت من معارف جدها رسول الله وجدتها القدسية فاطمة الزهراء عليها السلام عَذب الكلام والبيان البلاغة والفصاحة العميقة والمتأمل لخطب السيدة القدسية التي سوف نذكرها لاحقاً يجد أنها قد تأثرت ببلاغة وفصاحة ابيها الشهيد عليه السلام وأيضاً وجدتها الزهراء عليها السلام اضف الى ذلك تأثرها الكبير بعمتها العقيلة زينب الكبرى بنت علي عليه السلام وقد ورد عن ابن عساكر رواية مسندة لسلسلة من الثقاة جاء فيها: «جمعتنا أمنا فاطمة بنت الحسين فقالت: يا بني، إنه والله ما نال أحد من أهل السفه بسفههم ولا أدركوا ما أدركوا من لذاتهم إلا وقد أدركه أهل المروءات بمروءتهم، فاستتروا بستر الله"(العلامة المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار،١٣٦٥هـ، ج٤٣: ١٧٦)، فكانت ذات مكانة كبيرة عند أبيها الحسين عليه السلام، لرجاحة عقلها، ولمعرفتها التامّة لما كان يجري من الأحداث السياسية، خاصة بعد وفاة جدها محمد بن عبد الله (عليه وعلى آله الصلاة والسلام) لاسيما الأمور الخاصة بنصوص (الإمامة)، ولثقته التامة تم إيداع وصيّته عليه السلام عندها يومَ عاشوراء، حيثُ تذكر المصادر أن للإمام الباقر عليه السلام رواية يقول فيها: « لمّا حضر الحسين عليه السلام دفع وصيّته إلى ابنته فاطمة، ظاهرة في كتاب مدرج، فلمّا أن كان من أمر الحسين ما كان دفعت ذلك إلى علي بن الحسين عليه السلام"... ((العلامة المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار،١٣٦٥ه ج ٣/ ص ٣٢٠، ج٢٦/ ص ٥٤؛ الهاشمي، هاشم، فضل الله حول الزهراء عليها السلام ٢٠١٨م،ج١: ١٨٢)

وكان لحضورها في واقعة الطف وما بعدها اثراً كبيراً في توثيق الموقف الأليم لتكون آنذاك الشاهد الناطق الحي لما جرى في تلك الواقعة الأليمة حيث شاهدت كلّ ما كان يجري من مصائب ونوائب عظيمة من قتل وسبي على أهل البيت عليهم السلام، ونقلت المصادر موقفاً تجلت فيه عظمة تلك الواقعة في النفوس، حينما أقدم رجل على سلب حليّها وحيث بكى، فقالت عليها السلام لهذا الرجل: «لم تبكي؟ فقال: أأسلب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا أبكي؟ قالت: فدعه، قال: أخاف أن يأخذه غيري.». (الري شهري محمد، الصحيح من مقتل سيد الشهداء وأصحابه عليهم السلام ٢٠١٠م، ج١: ١٣٩٠)

وعند دخول السبايا لمدينة الكوفة كان للسيدة فاطمة بنت الحسين عليه السلام دور فعال، فبعد أن شارفت عمتها العقيلة زينب من خطبتها، وقفت السيدة فاطمة بقلب مليءٍ بالإيمان واليقين والثبات والعزم تصدح بلسانها الفصيح وضميرها الحي وتكشف ما جرى من جرائم يُندى لها الجبين في ساحة المعركة، كان موقف الخذلان وفضائح بني أمية وزيف ادعائهم ((الحسن،عبد الله، ليلة عاشوراء في الحديث والأدب،١٩٩٧م، ص٦٥؛ الري شهري محمد، الصحيح من مقتل سيد الشهداء وأصحابه عليهم السلام،٢٠١٠م،ج١: ١٣٩٠)؛ ثم ذكرت السيدة فاطمة ما جرى في الشام حينما أصبحن بين يدي يزيد بقولها عليها السلام: «عندما جلسنا بين يدي يزيد، شعرنا برقة غريبة تتملكنا»، فنهض رجل من أهل الشام وقال له: «يا أمير المؤمنين، هب لي هذه الجارية». كانت الجارية وضِيئة، فغضبتُ وظننتُ أن الأمر جائز لهم، فأمسكت بثياب عمّتي زينب، التي كانت تعلم أن هذا لا يجوز. فقالت عمّتي للشامي: «كذبت والله ولؤمة، والله ما هذا لك ولا له». فغضب يزيد وقال: «كذبتِ والله، إن ذلك لي، ولو شئتُ أن أفعل لفعلت». فأجابت زينب بثبات: «كلا والله، ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج عن ملّتنا وتدين بغير ديننا». فاشتد غضب يزيد وقال: «أيّاً كان، أنتِ تتحدّينني بهذا الكلام! إن الذي خرج من الدين هو أبوك وأخوك». فأجابته زينب: «أنا ملتزمة بدين الله ودين أبي ودين أخي، أما أنت وجدك وأبوك فهل كنت مسلماً؟» فرد يزيد بغضب: «كذبتِ يا عدوّة الله». فقالت زينب: «أنت أمير، تظلم الناس وتشتمهم، وتقهرهم بسلطانك». فأحسّ يزيد ببعض الخجل وصمت. ثم عاد الرجل الشامي وقال: «هب لي هذه الجارية». فأجابه يزيد بغضب: «أنت أعزب؟ هبك الله حتفاً قاضياً»....) (العلامة المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار،١٣٦٥هـ، ج٤٥/ ص ١٣٦؛ الصدوق، الأمالي١٩٧٠م:٢٣١)

وحينما أدخلت سبايا رسول الله لبلاط يزيد ورأس الحسين عليه السلام بين يديه حتى أخذت السيدتان فاطمة وسكينة عليهن الصلاة والسلام تطيلان النظر إلى رأس أبيهما الشهيد حتى أخذ يزيد يحاول أن يستر ويبعد عن ناظريهن الرأس الشريف، حتى انفجرن بالبكاء، فصاحت نساء يزيد وولولت بنات معاوية، فقالت فاطمة: «أبنات رسول الله سبايا يا يزيد؟، فبكى

الناس، وبكى أهل داره حتّى علت الأصوات.». ((العلامة المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار،١٣٦٥هـ، ج٤٥: ١٣٢)

من خلال تلك الرواية يتبين لنا مدى صعوبة المشهد الذي أبت النفس أن تتحمل هكذا موقف وهنا لو ناقشنا ذلك الموقف من المنظور الإنساني والنفسي والديني، يدعونا الى تساؤلات عديدة؛ كيف لتلك الأمة التي اتسمت باسم الإسلام ودين محمد أن تفعل ما فعله يزيد وجنوده الظلمة بآل بيت النبوة؟ هل يستحق ذلك ان تقطع الرؤوس ويسيل الدم وتسبى النساء وتيتم الاطفال خاصة وان علمنا أن الطرفين ابناء عمومة؟ هل دخل بني أمية الأوائل الاسلام حقاً؟ وإذا كان الجواب بنعم فهل من المعقول أن تسيل الدماء بتلك البشاعة أمام نواظر الأطفال والنساء؟ ثم أمر آخر مهم اننا لو بحثنا في المنظور النفسي وتساءلنا كيف لتلك النسوة والأطفال أن يواصلوا حياتهم ليكملوا مسيرة ما بدأه الإمام الحسين عليه السلام بعدما تعرضوا لشتى أنواع العذاب والظلم والاضطهاد والتعنيف والتصفية؟ وغيرها من التساؤلات التي تتبادر الى ذهن المتلقي.

الحقيقة إن الإجابة على تلك التساؤلات العديدة هي امر واحد فقط في رأي الباحثة وهو أن تلك الشجرة المباركة الطيبة شجرة آل بيت النبوة هم منبع لكل الأصل ولا يمكن اجتثاثه مهما تكالبت عليه الأعداء لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ (سورة مريم: ٥٨)

فهؤلاء الذين قتلوا ابن بنت رسول الله لم يدخل الإسلام في قلوبهم ولم يتغلغل الإيمان في أعماقهم ولهذا كانوا عبيدا للسلطة والمال، فهم الذين أشار اليهم الله في كتابه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (سورة الحشر: ١٦)

ولو طبقنا كل النظريات النفسية والاجتماعية والفلسفية على نساء واطفال ال البيت عليهم السلام وما جرى عليهم من ويلات لوجدنا نظرية بحد ذاتها فريدة من نوعها تقف كل النظريات عاجزة امام الايمان والصبر واليقين الذي كانت تمتلكه نفوسهم لا بل تفند ما جاءت به كل النظريات النفسية والاجتماعية و الفلسفية العربية والغربية امام عظمة هذا الموقف.

السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام تميّزت بفصاحتها وبلاغتها التي تجلت في موقف بارز مع الخليفة عمر بن عبد العزيز، كما ورد في رواية لأحد الرواة حيث تقول: (دعتني فاطمة بنت الحسين وقالت: «اكتب». فكتبت بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من فاطمة بنت حسين، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد، فأصلح الله أمير المؤمنين وأعانه على ما ولاه وعصم له دينه. فإن أمير المؤمنين كتب إلى أبي بكر بن حزم أن يقسم فينا مالاً من الكتيبة، ويتحرى بذلك ما كان يصنع من كان قبله من الأئمة الراشدين المهديين، فقد بلغنا ذلك،

وقسم فينا، فوصل الله أمير المؤمنين وجزاه من وال خير ما جزى أحداً من الولاة. فقد كانت أصابتنا جفوة واحتجنا إلى أن يُعمل فينا بالحق، فأقسم لك بالله يا أمير المؤمنين، لقد خدم من آل رسول اللهﷺ من كان لا خادم له، واكتسى من كان عارياً، واستنفق من كان لا يجد ما يستنفق). هذا الخطاب يعكس عمق الفصاحة السياسية والاجتماعية لفاطمة بنت الحسين، وقدرتها على مخاطبة القادة بالبلاغة والتأثير، وهي نموذج بارز للفكر الراشد والوعي المجتمعي في تلك الحقبة...».

(ابن عساكر، تاريخ دمشق،٢٠٠١،ج٧٠: ٢٣).

ثانيا: رثاء السيدة فاطمة لأبيها الإمام الحسين عليه السلام

ذكرنا في الصفحات السابقة بأن السيدة فاطمة عليها السلام كانت ذات بلاغة وفصاحة كبيرة، وما مرت به تلك السيدة من المشاهد المروعة أمام ناظريها الشريفين جعلها تنظم ابيات ترثي أباها الشهيد عليه السلام كانت من القصائد التي صاغتها بحزنها وألمها نذكر منها:

نعـــبَ الغـــرابُ فقلـتُ مَـن
تنعـــاهُ ويلـــكَ يـا غـرابْ
قـــالَ الإمـــامُ فقلـتُ مـن
قـــال الموفَّـــقُ للصـوابْ
قلـــتُ الحـسينَ فقـــالَ لي
بمقـــالِ مـــحزونٍ أجـــابْ
إن الحســـينَ بـــ (كربـــلا)
بـــين الأسنَّـــةِ والحِـــرابْ
فابكـــي الحســـينَ بعبـــرةٍ
ترجـــى الإلـــهَ مـــع الثـوابْ
قلـــتُ الحســـينَ فقـــال لي
حـــقّاً لقـــد سكـــنَ التـرابْ
ثـــمَّ استقـــلَّ بـــه الجنـا
حُفلـــمْ يطـــقْ ردَّ الجـوابْ
فبكـــيتُ منـــه بعبـــرةٍ
تـــرضي الإلـــهَ مـــع الثـواب

(العلامة المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار ،١٣٦٥هـ، ج٤٥/ ص١٧١)

في حين رثتهُ عليه السلام بقصيدة أخرى عُدت من أعمق وانبل القصائد على الإطلاق تفسر فيها مدى عندما قالت:

إن الحســـينَ بـــ (كربـــلا)
بـــين الأسنَّـــةِ والحِـــرابْ
فابكـــي الحســـينَ بعبـــرةٍ
ترجـــى الإلـــهَ مـــع الثـوابْ
قلـــتُ الحســـينَ فقـــال لي
حـــقّاً لقـــد سكـــنَ التـرابْ

وقالت عليها السلام بعد أن أخذت قبضة من تراب قبره الشريف:

مـاذا عـلى مـن شـم تربـة أحمـد
ألا يشـم مـدى الزمـان غواليـا
صبـت عـلي مصائـب لـو أنهـا
صبـت عـلى الأيـام عـدن لياليـا

(العلامة المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار،١٣٦٥هـ، ج٣٤/ ص٢١٣)

ولها عليها السلام أيضا وقد لحقت أمير المؤمنين عليه السلام بعدما أخرجوه ملببا بحمائل سيفه فلم تتمكن فعدلت الى قبر أبيها صلى الله عليه وآله وسلم فأشارت إليه بنحيب وحرقة وقلبها يعتصر قائلة:

نفسي على زفراتها محبوسة
يا ليتها خرجت مع الزفرات
لا خير بعدك في الحياة وإنما
أبكي مخافة أن تطول حياتي

كما نظمت قصيدة تبين شوقها لرؤية ابيها التي لم تكن عليها السلام تطيق فراقه

قل صبري وبان عني عزائي
بعد فقدي لخاتم الأنبياء
عين يا عين اسكبي الدمع سمحاً
ويك لا تبخلي بفيض الدماء
يا رسول الاله يا خيرة الله
و كهف الأيتام و الضعفاء
لو ترى المنبر الذي كنت تعلوه
قد علاه الظلام بعد الضياء
قد كان بعدك أنباء وهنبثة
لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب
انا فقدناك فقد الارض وابلها
واختل قومك فاشهدهم فقد نكبوا
تجهمتنا رجال واستخف بنا
بعد النبي وكل الخير مغتصب
قد كان جبريل بالآيات يؤنسنا
فغبت عنا فكل الخير محتجب
وكنت بدرا ونورا يستضاء به
عليك تنزل من ذي العزة الكتب
فقد لقينا الذي لم يلقه أحد
من البرية لا عجم ولا عرب
سيعلم المتولي ظلم حامتنا
يوم القيامة انى سوف ينقلب
فسوف نبكيك ما عشنا وما بقيت
لنا العيون بتهمال له سكب

(العلامة المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار،١٣٦٥ه، ج٩٧/ ص١٩٤)

(العلامة المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار،١٣٦٥هـ، ج٢٩/ ص١٠٨)

ثم قالت مخاطبة أبيها حينما عادت عليها السلام من خطبتها الكبرى تعتصر الماً والدمع في عينيها والحسرة تملأ قلبها الشريف:

كما تذكر المصادر التاريخية أنها كانت ذات حظوة كبيرة في المجتمع حتى كانت احد الرواة المحدِّثين، ففي رواية عن يزيد بن عبدالملك عن أبيه عن جده قال: « دخلت على فاطمة بنت الحسين فبدأتني بالسلام ثم قالت: ما غدا بك؟ قلت: طلب البركة قالت: أخبرني أبى وهو ذا: من سلّم عليه أو عليّ

ثلاثة أيام أوجب الله له الجنة قلت لها: في حياته وحياتك قالت: نعم وبعد موتنا.». (العلامة المجلسي، بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار،١٣٦٥هـ، ج٩٧/ ص١٩٤)

لقد شكلت تلك الأبيات التي تنم عن حرقة وألمِ ما ألمَّ بأهل البيت عليهم السلام حيث تُعد أحدى أهم الأساليب الإعلامية والجهادية وتبيان مدى صعوبة المشهد الذي تعرض اليه آل البيت عليهم السلام من قبل السلطة الأموية آنذاك وبالتالي شكل ذلك الرثاء فيما بعد شعاراً ثورياً للثأر لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الخاتمة

برزت في التاريخ الإسلامي نماذج مختارة من نساء كان لهن دور عظيم في إعطاء الدروس والعبر للأجيال اللاحقة لمواجهة الظلم والاستبداد فظهرت في المعسكر الحسيني العديد من الشخصيات العلوية اللواتي خُطَّ لهن تاريخ من ذهب وسُطِّرتْ لهن اروع البطولات والمواقف إلا وهي السيدة فاطمة بنت الامام الحسين عليه السلام، أن المعسكر الذي مثل كربلاء رغم صغر سنها فقد ابت الا المشاركة في تلك النهضة الالهية وكانت بالفعل شريكة الإمام الحسين عليه السلام في نهضته، عرفت بدورها البطولي في تعزيز النهضة الحسينية الى جانب الكوكبة من نساء ال البيت عليهم السلام اللواتي حملن مشعل الكرامة والحرية وقمن بما لم يقم به الرجال وبذلك تبين في هذه الدراسة ما يلي:

(١) تُعد السيدة فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام أحد أهم الشخصيات النسائية الإسلامية من ال البيت عليهم السلام فلها ثقلها ووزنها التاريخي الكبير في نفوس العامة من المسلمين.

(٢) كانت لها عليها السلام اهمية كبيرة في تجديد المفاهيم الدينية والفكرية والجهادية الإسلامية في مواجهة أعداء الدين الإسلامي الحنيف والوقوف بوجه الطغاة وقول الحق بشجاعة وجرأه قل نظيرها.

(٣) أشارت المصادر التاريخية إلى دورها الريادي والجهادي الإعلامي حيث تمثل ذلك بخطبها التي كانت موجهة ضد قتلة ابيها ومغتصبي الخلافة، وكان لها الاثر الكبير في نفوس العامة.

(٤) كانت عليها السلام الشاهد الناطق الحي لما جرى في واقعة الطف بمعسكر أبيها الحسين عليه السلام حيث تولت وصية أبيها الإمام الحسين عليه السلام وايصالها لأخيها الإمام علي بن الحسين حيث كان لروايتها أثر عظيم في فضح سياسة بني أمية وما تعرضت له النساء الهاشميات من مضايقات من قبلهم وكيفية الوقوف بوجه الأعداء بشجاعة وبسالة قل نظيرها.

(٥) كان لخطبها الأثر الكبير والعظيم في البلاط الأموي، وهن نسوة مغلوبات على امرهن وقد أسرن الى يزيد ولكن يتبين من النصوص التي ذكرناها أنفا مدى القوة والشجاعة التي تكمن داخل هذه المرأة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

(١) الفتوح، ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد،تحقيق علي شيري، ط ١، دار الأضواء، بيروت ١٩٩١ م.

(٢) المطلع على ألفاظ المقنع، البعلي أبو عبد الله شمس الدين محمد بن ابي الفتح، تحقيق محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب مكتبة السوادي ٢٠٠٣م.

(٣) أنساب الأشراف، لبلاذري، أحمد بن عيسى بن جابر،تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، ط ١، دار الفكر، بيروت ١٩٩٢م،

(٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،ابن الجوزي، جمال الدين الفرج بن عبدالرحمن ابن الجوزي، تحقيق محمد عبد القادر عطا مصطفى عبد القادر عطا بيروت لبنان: دار الكتب العلمية،١٩٩٢م.

(٥) جمهرة الأنساب، ابن حزم الأندلسي ابو محمد علي بن احمد بن سعيد، نسب القرشيين ط١، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٩٧١م

(٦) الثقات، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن أبي حاتم البستي التميمي ط ١، مطبعة دار المعارف العثمانية، حيدر آباد ١٩٧٩ م.

(٧) مقتل الحسين، الخوارزمي أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب تحقيق: محمد السماوي، ط١، مطبعة مهر، قم ١٤١٨هـ.

(٨) الأخبار الطوال، الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود،تحقيق عبد المنعم عامر، ط ١، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة ١٩٦٠م.

(٩) الطبقات الكبرى، ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الزهري، تحقيق علي محمد عمر، ط ١، الشركة الدولية للطباعة القاهرة ٢٠٠١م.

(١٠) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب أبو جعفر محمد بن علي المرادي المازندراني، تحقيق يوسف البقاعي، ط ٢، دار الأضواء، بيروت ١٩٩١ م.

(١١) مقتل الحسين المسمى اللهوف في قتلى الطفوف، ابن طاووس علي بن موسى بن جعفر بن محمد الحسيني، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ١٩٩٣م.

(١٢) إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي امين الإسلام أبي الفضل بن الحسين،قدم له العلامة الجليل السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان. النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية ١٩٧٠م.

(١٣) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، ابن عنبه جمال الدين أحمد بن علي بن الحسين عليه السلام، تحقيق السيد يوسف ابن عبدالله جمل. الرياض: مكتبة التوبة ٢٠٠٣م.

(١٤) الإصابة في تمييز الصحابة، العسقلاني حمد بن حجر ابن حجر العسقلاني،تحقيق علي البخاري. بيروت لبنان ط١: دار الجبل ١٤١٢هـ.

(١٥) تاريخ دمشق الكبير، ابن عساكر،علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي، تحقيق ابي ابي عبدالله علي عاشور الجنوبي، بيروت لبنان: دار إحياء التراث العربي.٢٠٠١م.

(١٦) بحار الأنوار الجامعة لدرر اخبار الائمة الاطهار، العلامة المجلسي.، محمد باقر تقي بن مقصود.

منشورات مطبعة وزارة الارشاد الاسلامي، ط١، ١٣٦٥هـ.

(١٧) مقاتل الطالبيين، ابو فرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد بن احمد، وتحقيق السيد أحمد صفر. بيروت لبنان: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات١٩٩٨م.

(١٨) التبيين في أنساب القرشيين، ابن قدامة، ط١، عالم الكتب، د.ت

(١٩) الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، المفيد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط ٢،، بيروت٢٠٠٨م.

(٢٠) الامالي، الصدوق ابي جعفر، محمد بن علي بن بابوية، قدمه السيد محمد مهدي السيد حسن. النجف الأشرف: مطبعة الحيدرية ١٩٧٠م.

(٢١) حياة الإمام الحسين دراسة وتحليل، باقر شريف مهدي بن ناصر، تحقيق مهدي باقر القريشي، ط ٢، كربلاء٢٠٠٨م.

(٢٢) أعيان الشيعة، السيد العاملي محسن الأمين،،ط١، ١٩٣٥م.

(٢٣) ليلة عاشوراء في الحديث والأدب، عبد الله الحسن، ١٩٩٧م.

(٢٤) فاطمة بنت الحسين درة فواطم أهل البيت، ابي معاذ السيد بن أحمد ابراهيم، ابي معاذ السيد بن أحمد ابراهيم، ط٢، ٢٠١١م

(٢٥) امبراطورية العرب تعريب وتعليق خيري حماد، كلوب جون باغوت، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٦م.

(٢٦) تثقيف الامة بسير أولاد الائمة مؤيد،علي حيدر، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر ٢٠٠٥م

(٢٧) أعلام النساء المؤمنات، حسين، محمد، جامعة تكساس ٢٢تموز ٢٠١٩م.

(٢٨) الصحيح من مقتل سيد الشهداء وأصحابه عليهم السلام، الري شهري محمد،٢٠١٠م.

(٢٩) حول الزهراء عليها السلام، هاشم الهاشمي فضل الله. دار الهدى ردمك٢٠١٨م.

(٣٠) للمقال المنشور على شبكة المعلومات الإنترنت على الرابط

(٣١) https://imamhussain.org/arabic/26663

(٣٢) للمقال المنشور على شبكة الانترنت

(٣٣) https://research.rafed.net